المنهج العلمي والخلقي

عند سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

لفضيلة الدكتور عبد الله بن محمد العمرو [1]

المقدمة

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، نبينا محمد وعلى إله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فتبرز أهمية المنهج باعتباره الطريق المأمون الموصل إلى علم صحيح ، فسائر العلوم لا سبيل إلى تحصيلها إلا من خلال مناهجها الصحيحة ، ولا يعد المرء عالما ما لم يسلك منهجا علميا سليما يحقق به معلوماته وموضوعاته.

وبفقد المنهج أو انحرافه يضل الفهم ، وتتحكم الأهواء، ويقع الضلال ، كما جرى لكثير من الفرق المنتسبة للإسلام والتي ضلت بسبب الخلل في المناهج التي اعتمدها في الوصول إلى المعرفة.

وإذا كانت المناهج تختلف باختلاف العلوم ؟ فلكل علم منهجه الذي يلائمه ، فإن هذا البحث يتجه إلى الحديث عن المنهج في تحصيل العلم الشرعي ، وذلك من خلال دراسة منهج أحد أئمة الدين من المعاصرين وهو سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالى - وذلك بالكشف عن منهجه العلمي الذي سار عليه في تحصيله العلمي ، ومنهجه الخلقي الذي ارتضاه واستقام عليه في بيانه للعلم وتبليغه له.

---

(1) الأستاذ بقسم الثقافة الإسلامية –كلية الشريعة بالرياض –جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أسباب اختيار الموضوع:

- أهمية المنهج العلمي والخلقي في ضبط حركة الفكر، وتسديد وجهته ، وتوجيه السلوك والارتقاء به.
- ما يحصل بسبب غياب المنهج العلمي والخلقي ، أو التفريط في الأخذ بهما من ضلال في الفكر، وانحراف في السلوك . وقد جاء اختيار العلامة الشيخ ابن باز - رحمه الله تعالى- بالحديث عن المنهج العلمي والخلقي عنده لأمور أهمها ما يأتي:

١ - أنه سار على منهج سلف الأمة ، في مصادرهم وطريقتهم في الاستدلال ، حيث اعتمد نصوص الكتاب والسنة ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وأخذ بما قرره العلماء من قواعد الاستدلال ؟ برد المتشابه إلى المحكم ، والمجمل إلى المبين ، والجمع بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات ، والعموم والخصوص ، ومراعاة الناسخ والمنسوخ ونحو ذلك.

٢- معايشته للعديد من التقلبات السياسية والفكرية والاجتماعية التي مرت على العالمين العربي والإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري وشطر من الخامس عشر فلقد شهد أحداثا جساما، منها الجهاد العسكري ضد الاحتلال في أكثر من قطر، واجتياح الدعوات القومية والشيوعية والحركات التغريبية لكثير من البلاد العربية والإسلامية ، والحروب التي قامت بين بعض الدول العربية والإسلامية ، مع ما صاحب ذلك كله من مواقف متفاوتة ، وتوجهات متباينة.

٣- أنه خلف تراثا علميا وفكريا ضخما، توزع بين الأسفار المكتوبة والأشرطة المسموعة ، في العقيدة والفقه والحديث ، وغيرها من أبواب العلم ، وكانت له فيها نظراته المتميزة ، واختياراته المسددة ، وتعليقاته القيمة.

٤- قيامه - رحمه الله - بما أوجبه الله على أهل العلم من قول الحق وعدم كتمانه ، وتصدره للدعوة إلى الله ، وتبليغ شرعه ، والدفاع عن دينه على مدى عقود من الزمن ، فجاهد بلسانه وقلمه ، ووقف

في وجه الدعوات الهدامة والاتجاهات المنحرفة ، وشارك في معالجة كثير من القضايا المستجدة ، وتكلم وكتب معلما للجاهلين، ومصححا للمخطئين ، ومناقشا للمجتهدين ، ورادا على المعاندين، كل ذلك وفق منهج خلقي متميز وثابت ، يجمع بين الاجتهاد في بيان الحق ، والرحمة بالخلق والنصح لهم.

الدراسات السابقة:

كتب عن سماحة الشيخ – رحمه الله – العديد من الكتب والرسائل، إلا أن عامتها متجهة إلى الحديث عن سيرته الذاتية ، وأعماله العلمية والدعوية : ومنها، الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز لفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الرحمة ، والإبريزية في التسعين البازية، لفضيلة الشيخ الدكتور حمد بن إبراهيم الشتوي ، وكتاب عبد العزيز بن باز عالم فقدته الأمة لمعالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر، ولذا فإن جوانب كثيرة من سيرته لا تزال بحاجة إلى الدراسة والبيان ، والكشف من سماتها المتميزة ، ومنها المنهج العلمي والخلقي عند سماحته والذي هو موضوع هذا البحث.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز المنهج العلمي والخلقي الذي سار عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز– رحمه الله تعالى – في حياته العلمية تحصيلا وعطاء، والذي كان له بالغ الأثر في رسوخ قدمه في العلم، وعلو شأنه فيه، وسعة انتفاع الناس به وبما صدر عنه. ورسم منهج يسير عليه طالب العلم الشرعي – في تحصيله وتبليغه– يترسم فيه خطى الراسخين في العلم من خلال نموذج معاصر ومتميز هو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز– رحمه الله تعالى –.

خطة البحث:

وتشمل بعد المقدمة ، مبحثين ، وخاتمة ، هي على النحو الآتي:

المبحث الأول : المنهج العلمي في الاستمداد والاستدلال .

أولا: الاستمداد من الكتاب والسنة.

ثانيا: اعتماد النصوص الصحيحة في الاستدلال .

ثالثا: اتباع منهج سلف الأمة في فهم النصوص .

رابعا: الأخذ بالقواعد والأصول في الاستنباط .

المبحث الثاني : المنهج الخلقي في التبليغ والبيان .

أولا: الصدق والإخلاص .

ثانيا : النصح.

ثالثا : الوضوح.

رابعا: القوة في الحق مع الرفق واللين.

خامسا : التواضع.

سادسا : القدوة .

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث منهجا يقوم على ركيزتين هما:

١- التأصيل : وذلك بالرجوع في تقرير المسائل وبيانها إلى نصوص الكتاب والسنة ، وفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعتين، وآئمة الدين من علماء المسلمين.

٢- الوصف والتحليل : وذلك بعرض آراء الشيخ - رحمه الله - في الموضوعات محل الدراسة ، مع الاجتهاد في استخلاص المنهج العلمي والخلقي الذي سار عليه الشيخ من خلال ما صدر عنه من مؤلفات ورسائل.

هذا وقد حرصت في هذا البحث على الإيجاز، ولذا أكتفي بذكر بعض الشواهد لتقرير المسألة محل البحث ، وأشير إلى غيرها من الشواهد ومواضعها.

والله تعالى أسأل التوفيق والتسديد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى إله وصحبه أجمعين.

نبذة موجزة عن حياة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ا ل باز . ولد بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ وكان بصيرا ثم أصابه المرض في عينيه . فضعف بصره بسبب ذلك، ثم ذهب بالكلية في عام ١٣٥٠ هـ .

بدأ الدراسة منذ الصغر وحفظ القران الكريم قبل البلوغ ثم بدأ في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض ، من أشهرهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف ال الشيخ- رحمه الله - .

اشتغل في القضاء ثم التدريس ، ثم عين نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ثم رئيسا لها.

ثم رئيسا عاما لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وفي سنة ١٤١٤ من الهجرة اختير لمنصب المفتي العام للمملكة، ورئيس هيئة كبار العلماء، ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء إلى وفاته سنة ١٤٢٠ هـ

كان له -رحمه الله - مشاركة فاعلة في كثير من المجالس العلمية والإسلامية ، وله عدد من المؤلفات والرسائل.

توفي الشيخ في السابع والعشرين من محرم ، سنة عشرين وأربع مائة وألف من الهجرة ، بالطائف ، ودفن بمكة المكرمة.

وقد كانت جنازته حافلة ، شهدها الولاة والعلماء، وجمع عظيم من الناس ، رحمه الله وأعلى مترلته[١].

المبحث الأول : المنهج العلمي في الاستمداد والاستدلال.

التعريف:

المنهج : الطريق ، قال ابن فارس : "النهج : الطريق الواضح ، ونهج لي الأمر: أوضحه ، وهو مستقيم المنهاج . والمنهج : الطريق – أيضا- والجمع المناهج)) [٢]. ويقال : نهج الطريق : سلكه ، ونهجت الطريق ابنته وأوضحته ، واستنهج طريق فلان : إذا سلك مسلكه [٣]

. فخلاصة معانيه في اللغة : أنه الطريق الواضح ، والمستقيم ، سواء كان حسيا أو معنويا.

والمنهج في الاصطلاح : ((وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة)) [٤]. هذا بوجه عام.

وفي الجانب المعرفي والفكري هو "خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها)) [٥].

---

(١)انظر في ترجمة الشيخ : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/١) جمع: محمد بن سعد الشويعر، دار المؤيد، الرياض ، ط ٤ سنة 1423 هـ حمد بن إبراهيم الشتوي ، الإبريزية في التسعين البازية ص ٣٠ – ٣١، دار العاصمة ، الرياض ط ا، سنة١٤٢٠

(٢)معجم مقاييس اللغة (٣٦١/٥) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر، ط ٢، سنة ١٣٩٩هـ .

(٣)انظر : ابن منظور، لسان العرب ٣٨٣/٢

(٤)مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ص ١٩٥، عالم الكتب ، بيروت ، ط ا سنة١٣٩٩ه

(٥)) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

وبالجملة فالمنهج الطريق الواضح المنظم في التفكير أ و الاستدلال أو العمل ، الموصل إلى غاية معينة . وهو يختلف باختلاف العلوم ، والمبادئ ، والغايات .

وبإضافته إلى العلم ، والذي هو: إدراك الشيء بحقيقته [1]يمكن تعريف المنهج العلمي بأنه : حركة العقل وفق قواعد محددة ، بهدف الوصول إلى معرفة صحيحة. ويتمثل المنهج العلمي في الاستمداد والاستدلال في الأخذ بالقواعد والأصول التي تسدد حركة الإنسان الفكرية ، وتمكنه من الوصول إلى معرفة صحيحة تقوم على أساس الدليل والبرهان . ونصوص الكتاب والسنة هي أساس العلم ومنبعه ، فلا سبيل إلى العلم بالله تعالى وشرعه وما يجب له إلا من خلالها، كما أن من المتعين فهم نصوص الكتاب والسنة وفق مراد الله تعالى منها، لا بحسب الأهواء أو الظنون ، ولذا كان من الأصول المعتبرة ، لزوم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وفهم نصوصهما وفق فهم سلف الأمة.

كما أن من ركائز المنهج العلمي الأخذ بقواعد الاستنباط والترجيح والاجتهاد، للسلامة من الزلل والاختلاف والتناقض.

وسيكون الحديث – في هذا المبحث – عن هذه القواعد والأصول ، مع بيان مدى اعتبارها عند سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز– رحمه الله تعالى –

---

(١)الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٣ دار المعرفة – بيروت .

. أولا : الاستمداد من الكتاب والسنة

الكتاب والسنة هما أساس الإسلام ، ومصدر عقائده وعباداته وتعاليمه وآدابه، وقد جاءت النصوص دالة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ، والصدور عنهما، والرد إليهما عند التنازع ، فمن ذلك: ١ - قول الله تعالى : (وأطيعوا الله والرسول ! **لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ!** [١].

٢ - وقول الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً [٢].

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول صلي الله عليه وسلم هو الرد إليه في حياته ، وإلى ما صح من سننه بعد موته [٣].

٣ - وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول في خطبته : ((أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)) [٤].

---

(١)سورة آل عمران ، الآية : ١٣٢

(٢)سورة النساء، الآية : ٥٩

(٣)انظر : ابن كثير، تفسير القران العظيم (٥١٨/١) ، ابن القيم : إعلام الموقعين (٤٩/١) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر – بيروت ، ط ٢ سنة ١٣٩٧ هـ .

(٤)خرجه مسلم في الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (رقم 867) واللفظ له،، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤٠٠هـ. وأبو داود في السنة ، باب لزوم السنة (١٥/٥) تحقيق محمد محي

٤ – وعن المقدام بن معد يكرب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يتولى عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه " (١)

.إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان : ((وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم، اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القران لا برأيه ولا ذوقه ولا قياسه ولا وجده ، فإنه ثبت عنهم بالبراهين القطعيات ! والآيات البينات ، أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم)) (٢).

والرد إلى الكتاب والسنة يؤدي إلى ائتلاف الخلق واجتماعهم وانقيادهم لأمر واحد، بالإضافة إلى اتصاف هذا الاجتماع والائتلاف بالصدق في حقيقته لموافقته للشرع ، أما الرد إلى العقل فيحيل الخلق

الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية ، مصر، والترمذي في العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة ، واجتناب البدع ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل (١٧/١) ، دار الحديث ، القاهرة

(١)أ.. أخرجه أبو داود في السنة ، باب في لزوم السنة (رقم ٤٦٠٤). والترمذي في العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (رقم ٢٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (رقم ١٢)، وأحمد (١٣١/٤، ١٣٢)، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن ابن ماجه (٧/١).

(٢)) مجموع الفتاوى (٢٨/١٣) جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت ، تصوير ط ا سنة ١٣٩٨هـ

إلى شيء لا سبيل إلى ثبوته ومعرفته واتفاق الناس عليه لتفاوتهم في العقول واختلافهم في الآراء[١] .

ولقد سار العلامة ابن باز – رحمه الله – على هدي سلف الأمة؟ فاعتمد الكتاب والسنة في أقواله واختياراته وفتاواه ، فكان يستنبط منهما، ويقف عند حدودهما، ولا يلتفت إلى ما خالفهما ولا إلى من خالفهما كائنا من كان. كما كان يوازن بين الأقوال المختلفة على ضوئهما، فيرجح ما وافقهما، ويرد ما خالفهما، هذا منهجه الذي ارتضاه ودأب عليه [٢]، وعني بتقريره والدعوة إليه والترغيب فيه.

قال – رحمه الله – : ((أجمع العلماء قديما وحديثا على أ ن الأصول المعتبرة في إثبات الأحكام ، وبيان الحلال والحرام هي كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم سنة رسول الله – عليه الصلاة والسلام – الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، ثم إجماع علماء الأمة.

واختلف العلماء في أصول أخرى أهمها القياس ، وجمهور أهل العلم على أنه حجة إذا استوفى شروطه المعتبرة ، والأدلة على هذه الأصول أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر)) [٣].

ثم شرع رحمه الله في بيان الأدلة على وجوب اتباع الكتاب والسنة، والتمسك بهما، والاستقامة عليهما، والوقوف عند حدودهما [٤].

---

(١) انظر : ابن تيمية ، درء التعارض (146/1)تحقيق : محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الريـــاض ، ط ا سنة ١٤٠٢هـــ.

(٢)سأكتفي في هذا المبحث بذكر أقواله في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ، وتأتي الشواهد على أخذه بذلك في المباحث القادمة بإذن الله تعالى.

(٣)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (211/1).

(٤)المرجع السابق (٢١١/١ – ٢٢١)

ويؤكد – رحمه الله – أن نصوص الكتاب والسنة تضمنت بيان الحق ، وإيضاح سبله ومناهجه ، والدعوة إليه بأوضح عبارة ، وأكمل بيان ، وأقوى حجة، بينت ذلك وأرشدت إليه بالأدلة النقلية والعقلية ، ولذا تخضع لها القلوب ، وتطمئن لها النفوس ، وتنشرح لها الصدور[١] ،كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وهُدًى ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ [٢].

ومن الواجب على كل مسلم : ((الانقياد التام لقول الله تعالى ، وقول رسوله ، وتقديمهما على قول كل أحد، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة))[٣]. وهو مقتضى العبودية لله، والشهادة بالرسالة لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم [٤].

كما أن من المتعين رد ما تنازع فيه الناس واختلفوا فيه، إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم ، كما قال تعالى :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** [٥]. ((ففي عرضها على هذا الميزان العظيم تمحيصها، وبيان حقها من باطلها، ورشدها من غيها، وهداها من ضلالها، وبذلك ينتصر الحق وأهله ، ويندحر الباطل وأهله " [٦].

---

(١)انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/٦٠- ٦٧)

(٢)سورة يونس ، الآية : ٥٧

(٣)ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/٧٧)

(٤)المرجع السابق (١/ ٧٩)

(٥)سورة النساء، الآية : ٥٩

(٦)ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/ ٦٢)

فأقوال الناس ، وأعمالهم ، وسائر تصرفاتهم يجب أن تعرض على الكتاب والسنة.

والشيخ – رحمه الله – يتابع سلف الأمة في إجلال السنة، والتمسك بها، والاحتجاج بها، ويقرر أنها محفوظة بحفظ الله تعالى لها، وأنها تضمنت أحكاما استقلت في بيانها، يقول رحمه الله : " ولا شك أ ن سنة رسول الله صل الله علية وسلم وحي مترل، فقد حفظها الله كما حفظ كتابه ، وقيض لها علماء نقادا، ينفون عنها تحريف المبطلين ! وتأويل الجاهلين، ويذبون عنها كل ما ألصقه بها الجاهلون والكذابون والملحدون ، لأن الله سبحانه جعلها تفسيرا لكتابه العزيز، وبيانا لما أجمل فيه من الأحكام ، وضمنها أحكاما أخرى لم ينص عليها الكتاب العزيز، كتفصيل أحكام الرضاع ، وبعض أحكام المواريث ، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، إلى غير ذلك من الأحكام التي جاءت بها السنة الصحيحة و لم تذكر في كتاب الله العزيز " [1].

وإذا كان من الناس من يزعم الاكتفاء بالقران والاحتجاج به دون السنة . ((فقد ضل ضلالا بعيدا، وكفر كفرا أكبر، وارتد عن الإسلام بهذا المقال ، فإنه بهذا المقال ، وبهذا الاعتقاد يكون قد كذب الله ورسوله، وأنكر ما أمر الله به ورسوله ، وجحد أصلا عظيما من أصول الإسلام قد أمر الله بالرجوع إليه ، والاعتماد عليه ، والأخذ به، وأنكر إجماع أهل العلم وكذب به وجحده)) [2]. فمن لم يتبعه صل الله عليه وسلم فإنه لم يؤمن بكتاب الله، و لم ينفذ أوامره ، إذ كتاب الله أمر بطاعة الرسول صلي الله عليه وسلم وحذر من مخالفته [3].

([1])مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢١٦/١) وانظر : المرجع نفسه (١٣٨/٨)

([2])المرجع السابق (١٣٢/٨)

([3])المرجع السابق (١٨١/٩) .

ويؤكد – رحمه الله – أن الاعتصام بالكتاب والسنة سبب للحياة الطيبة الحميدة ، والمتضمنة طمأنينة القلب ، وانشراح الصدر، وراحة الضمير، كما أن في الاستجابة لله ورسوله ، والاستقامة على ذلك قولا وعملا العز والكرامة والنجاة في الدنيا والآخرة[١] كما قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٢]، وقال تعالى : (وِلِلَّهِ العِزَّةُ ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ ولَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ [٣]

((وأما من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام واشتغل عنهما بغيرهما فإنه لا يزال في العذاب والشقاء، في الهموم والغموم والمعيشة الضنك ، وإن ملك الدنيا بأسرها، ثم ينتقل إلى ما هو أشد وأفظع وهو عذاب النار)) [٤]، كما قال تعالى : (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى (١٢٣) ومَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ونَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى [٥]وقال عز من قائل : (ولَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[٦]

---

(١)انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٣٦/١، ٣٠٦) (٩٩/٥)

(٢)سورة النحل ، الآية : ٩٧

(٣).سورة المنافقون ، الآية : ٨

(٤).بن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩٨/٥)

(٥)سورة طه، الآيتان : ١٢٣ – ١٢٤

(٦)سورة السجدة ، الآية : ٢١

ثانيا : اعتماد النصوص الصحيحة في الاستدلالي

لما كان من الأصول المعتمدة عند أهل السنة والجماعة الاعتصام بالكتاب والسنة ، والوقوف عند حدودهما، والرد إليهما عند التنازع – كما تقدم –، وحيث إن السنة تتفاوت باعتبار وصولها إلينا، فمنها المتواتر[١] ومنها الآحاد[٢]، والآحاد منها المقبول ومنها المردود، فإن الواجب الاعتماد على الأحاديث المقبولة وهي الصحيحة والحسنة – وأما الضعيفة والموضوعة فلا يجوز الاستدلال بها أو الاعتماد عليها في الأحكام الشرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب ، فإن السنة هي الحق دون الباطل ، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة . فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموما ولمن يدعي السنة خصوصا)) [٣].

ويقول أيضا : "ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة)) [٤]. ولقد اعتمد الشيخ ابن باز هذا الأصل العظيم ، فعني بتمحيص مرويات الحديث ، ودعا إلى

([١])t الحديث المتواتر : هو ما رواه في كل طبقة من طبقاته جماعة يمتنع تواطؤهم عادة على الكذب ، لكثرتهم ، واستندوا إلى أمر محسوس .

انظر : ابن حجر، نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٣، مؤسسة الخافقين ، سنة ١٤٠٠هـ. الشوكاني ، إرشاد الفحول ص ٤٦، دار الفكر، بيروت .

([٢])حديث الآحاد : هو ما رواه عدد لا يبلغ في الكثرة حد التواتر، أو هو ما لم يستوف شروط التواتر. انظر: ابن حجر، نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ٠٤ الشوكاني ، إرشاد الفحول ص ٤٨ .

([٣])مجموع الفتاوى (٣٨٠/٣)

([٤])المرجع السابق(٢٥٠/١)

اعتماد الأحاديث الصحيحة في الاستدلال ، والرد إليها عند التنازع [١]، وبين أنه لا يجوز مخالفتها، أو معارضتها برأي أو هوى، أو قياس ، يقول الشيخ – رحمه الله تعالى –: ((وإذا صحت الأحاديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم لم تجز معارضتها بقول أحد من الناس ولا فعله كائنا من كان، ووجب على المؤمن اتباعها والتمسك بما دلت عليه ، ورفض ما خالفه ، كما قال تعالى : **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** [٢] [٣].

ويقول أيضا: ((وأما من علم الأحاديث الصحيحة .. فلا عذر له في مخالفتها، ومتى خالف العبد الأحاديث الصحيحة الصريحة اتباعا للهوى ، أو تقليدا لأحد من الناس استوجب غضب الرب ومقته ، وخيف عليه من زيغ القلب وفتنته، كما حذر الله سبحانه من ذلك في قوله : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٤]، وفي قوله تعالى : فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ [٥]وقوله تعالى : فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ! [٦] [٧].

---

(١)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ١٠٦)، (٩/ ١٧٧)

(٢)سورة الحشر، الآية : ٧

(٣).مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/٢١٧– ٢١٨)

(٤)م سورة النور، الآية : ٦٣ .

(٥)سورة الصف ، الآية : ٥

(٦)سورة التوبة ، الآية : ٧٧ .

(٧)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/ ٢١٨)

وإذا كان طوائف من أهل الكلام ومن سلك سبيلهم ، يرون أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد، لأنها لا تفيد القطع واليقين ، وأن العقائد لابد فيها من اليقين ، فردوا بهذه الشبهة كثيرا من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلي الله عليه وسلم [1].

فإن هذا الذي ذهب إليه أهل الكلام خلاف ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من الأئمة ، الذين يأخذون بكل ما صح عن النبي النبي صلي الله عليه وسلم ، دون تفريق بين الآحاد وغيره ، ودون تفريق بين العمل والاعتقاد .

يقول الخطيب البغدادي : " وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، و لم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ولا اعتراض عليه ، فثبت أنه من دين جميعهم وجوبه ، إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العمل به لنقل إلينا الخبر عنه بمذهبه فيه " [2]

. وقال ابن عبد البر: ((وكلهم – يعني أهل الفقه والأثر – يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ، ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعا ودينا يعتقده ، وعلى ذلك جماعة أهل السنة)) [3].

وما سار عليه سلف الأمة من الأخذ بحديث الآحاد والاحتجاج به، هو ما يختاره الشيخ ابن باز – رحمه الله – ويعتمده ويدعو إليه ، وفي هذا يقول : ((متى صح السند إلى رسول الله ! وجب الأخذ به

([1])انظر: محمد الموصلي ، مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (١١٨/٢) وما بعدها طبع سنة ٣٤٩ ١هـ توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض . الشنقيطي ، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر (ص ١٠٤ – ١٠٥) المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

([2])الكفاية في علم الرواية ص ٧٢ دار الكتب الحديثة ، القاهرة ط ٢.

([3])التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/١) ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري ، المملكة المغربية ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ط٢ ، سنة ١٤٠٢هـ

مطلقا، ولا يشترط في ذلك أن يكون متواترا أو مشهورا أو مستفيضا أو بعدد كذا من الطرق ، بل يجب أن يؤخذ بالسنة ولو كانت من طريق واحدة ، متى استقام الإسناد وجب الأخذ بالحديث مطلقا بسند واحد أو بسندين أو بثلاثة أو بأكثر سواء سمي الخبر متواترا، أو خبر آحاد، لا فرق في ذلك، كلها حجة يجب الأخذ بها، مع اختلاف ما تقتضيه من العلم الضروري ، أو العلم النظري ، أو الظني)) [١]

. ثالثا : أتباع سلف الأمة في فهم النصوص

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أنهم يعتمدون تفسير الصحابة – رضي الله عنهم – وفهمهم للنصوص ، لأنهم ((حضروا التنزيل ، وفهموا كلام الرسول النبي صلي الله عليه وسلم ، واطلعوا على قرائن القضايا، وما خرج عليه الكلام من الأسباب والمحامل التي لا تدرك إلا بالحضور، وخصهم الله تعالى بالفهم الثاقب ، وحدة القرائح ، وحسن التصرف ، لما جعل الله فيهم من الخشية والزهد والورع ، إلى غير ذلك من المناقب الجليلة ، فهم أعرف بالتأويل ، وأعلم بالمقاصد ..)) [٢]

وقد أثنى الله عز وجل على السابقين من الصحابة ، وعلى كل من تبعهم بإحسان ، وجعل اتباعهم بإحسان سبيلا إلى رضوانه ، فقال تعالى: () والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ! [٣]، وتوعد – سبحانه – بالنار وسوء المصير من اتبع سبيلا غير سبيلهم ، فقال تعالى :

---

(١)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/ ١٩٠)

(٢)الحافظ العلائي ، إجمال الإصابة في أقوال الصحابة ص ٦٤، تحقيق : محمد سليمان الأشقر، نشر مركز المخطوطات والتراث ، الكويت ، ط١ سنة ١٤٠٧ هـ

(٣)سورة التوبة، الآية : ١٠٠، وقد أثنى الله عز وجل على سائرهم في آيات عديدة، كما في قوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ الآية سورة الفتح ، الآية : ١٢٩

(ومَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيرًا [١]

. ويلحق بالصحابة – رضي الله عنهم –، أعيان التابعين لهم باحسان وأتباعهم من أئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين [٢].

ولقد سار الشيخ ابن باز – رحمه الله – متابعا سلف الأمة في فهمهم النصوص الشرعية وتفسيرها في مسائل الاعتقاد وغيرها. ويؤكد أن ما قرروه وارتضوه مقدم على ما يقوله غيرهم ، لأن الله تعالى خاطب عباده بما يفهمونه ، ويعقلون مراده منه، والصحابة – رضي الله عنهم– هم ((أعلم الأمة بمراد الله عز وجل في كتابه ، فعليهم نزل، وهم أول من خوطب به من الأمة ، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول صلي الله عليه وسلم علما وعملا، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة ، فلا يعدل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل)" [٣].

وكذا التابعون أعلم بمعاني كلام الله ورسوله ، وهم أعرف بمراد الله من كلامه ممن بعدهم [٤].

وشواهد متابعته – رحمه الله – سلف الأمة في فهم النصوص أكثر من أن تحصر، بل هو منهجه العام الذي سار عليه وارتضاه في سائر ما صدر عنه، فمن ذلك قوله : إن من الإيمان بالله ((الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين ، من غير تحريف ولا تعطيل ،

---

(١)سورة النساء، الآية : ١١٥

(٢)انظر : السفاريني ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ٢٠/١، المكتب الإسلامي ، بيروت

(٣)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤٠٦/٣)، وانظر (٦٦/٣)

(٤)المرجع السابق (٥٥/٣)

ولا تكييف ولا تمثيل ، بل الواجب أن تمر كما جاءت بلا كيف، مع الإيمان بما دلت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف الله – عز وجل – يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته ، كما قال تعالى : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [١]، وقال عز وجل : (فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ [٢]، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان)) [٣].

وكل من خالف أهل السنة فيما اعتقدوا في باب الأسماء والصفات فإنه يقع ولابد في مخالفة الأدلة النقلية والعقلية ، مع التناقض الواضح في كل ما يثبته وينفيه [٤].

وينكر – رحمه الله – على من يقول : إن السلف يفوضون الأمر في الصفات إلى الله عز وجل، وأن طريقتهم بذلك هي الأسلم [٥]، فيقول : (أليس الأسلم تفويض الأمر في الصفات إلى علام الغيوب ، لأنه سبحانه بينها لعباده وأوضحها في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين صلي الله عليه وسلم، و لم يبين كيفيتها، فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني ، وليس التفويض مذهب السلف بل هو مذهب مبتدع مخالف لما عليه السلف الصالح.

---

(١)سورة الشورى ، الآية :11

(٢)سورة النحل ، الآية : ٧٤

(٣)ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ١٧)

(٤)المرجع السابق (١/ ١٨)

(٥)انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/ ٥٤)

وقد أنكر الإمام أحمد – رحمه الله – وغيره من أئمة السلف على أهل التفويض ، ويدعوهم لأن مقتضى مذهبهم أن الله سبحانه خاطب عباده بما لا يفهمون معناه ولا يعقلون مراده منه، والله سبحانه وتعالى يتقدس عن ذلك . وأهل السنة والجماعة يعرفون مراده سبحانه بكلامه، ويصفونه بمقتضى أسمائه وصفاته ، ويترهونه عن كل ما لا يليق به عز وجل.

وقد علموا من كلامه سبحانه ومن كلام رسوله صلي الله عليه وسلم أنه موصوف بالكمال المطلق في جميع ما أخبر به عن نفسه ، أو أخبر به عنه رسوله صلي الله عليه وسلم [1]، ثم أطال رحمه الله – في النقول عن السلف في بيان ذلك وتقريره [2].

- ومن ذلك : بيانه لمعنى الإيمان وحقيقته في نصوص الشرع ، وفق ما أجمع عليه سلف الأمة من أنه قول وعمل ، يزيد وينقص [3] ،

- وفي هذا يقول – رحمه الله – : ((ومعلوم أن الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . ولأهل السنة عبارة أخرى في هذا الباب وهي: أن ،الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وكلتا العبارتين صحيحة ، فهو قول وعمل ، يعني قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح ، وهو قول وعمل واعتقاد؟ قول باللسان ، وعمل بالجوارح ، واعتقاد بالقلب ، فالجهاد في سبيل الله ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وسائر الأعمال المشروعة كلها أعمال خيرية ، وهي من شعب الإيمان التي يزيد بها الإيمان وينقص

---

(1)المرجع السابق (٣/ ٥٥)

(2)انظر : المرجع السابق (٣/٥٥ – ٥٨)

(3)انظر : البغوي ، شرح السنة (1/38 – ٤٠) تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ! المكتب الإسلامي –بيروت ، ط ١ سنة ١٣٩٠ هـ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢) .

بنقصها عند أهل السنة والجماعة ؟ وهم أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان)) [١].

- وهذا الذي ذهب إليه هو – كما تقدم – قول أهل السنة والجماعة، وهو خلاف قول الفرق الضالة ،من الخوارج والمعتزلة والمرجئة– الجهمية منهم والكرامية – الذين اتفقوا على أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص ، وأنه لا يجتمع في القلب الواحد إيمان ونفاق ، ولا يكون في أعمال العبد الواحد شعبة من الكفر وشعبة من الإيمان .

- ثم اختلفوا بعد ذلك في حقيقة الإيمان ومحله ، فمنهم من يقول : الإيمان محله القلب ، ومنهم من يضيف إليه إقرار اللسان ، ومنهم من يقول : الإيمان محله القلب واللسان والجوارح ، ولكنه فعل كل واجب وترك كل محرم ، ويذهب الإيمان كله بترك الواجب أو فعل المحرم ، كالخوارج والمعتزلة.

- والحق أن كل طاعة هي شعبة من الإيمان أو جزء منه، والإيمان يكمل باستكمال شعبه وينقص بنقصها. ولكن منها ما يذهب الإيمان كله بذهابه ، ومنها ما ينقص بذهابه ، كما دلت على ذلك النصوص ، واتفق عليه سلف الأمة.

- ش– ومن ذلك : تقريره – رحمه الله – لمذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب المعصية والكبيرة ما لم يستحلها، وأنه عاص وناقص الإيمان ، ولكن لا يكفر بذلك كفرا أكبر، يقول – رحمه الله –: ((ارتكاب الكبائر كالزنى وشرب الخمر وقتل النفس بغير حق وأكل الربا والغيبة

---

(١)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/ ٣٥)

والنميمة وغير ذلك من الكبائر يؤثر في توحيد الله وفي الإيمان ويضعفه ، ويكون ضعيف الإيمان ، لكن لا يكفر بذلك ..... إذا كان لم يستحل هذه المعصية)) [١]

. ويدل على هذا القول أن الله تعالى شرع تأديب أهل المعاصي وتعزيرهم بإقامة الحدود عليهم ، كحد الزنى وحد السرقة ، ولو كان الزنى ردة لوجب قتله ، وكذا السارق لا يقتل بل تقطع يده، فدل ذلك على أن هذه المعاصي ونحوها ليست ردة ولا كفرا، ولكنها ضعف في الإيمان ونقص فيه [٢]. وأما حكم من مات على شيء من الكبائر و لم يتب منها فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه على قدر معاصيه ، ثم يكون ماله إلى الجنة [٣]، لقول الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ [٤]

وقد خالف الخوارج والمعتزلة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، فالخوارج تكفر بالمعاصي والكبائر، وتجعله مخلدا في النار إذا مات على ذلك و لم يتب، والمعتزلة تقول : إنه في منزلة بين المنزلتين – فلا نسميه كافرا يعني الكفر الأكبر، ولكن يخلد في النار إذا مات عليه [٥].

وكلتا الطائفتين قد ضلت عن السبيل ، وخالفت نصوص الكتاب والسنة ، ومذهب أهل السنة والجماعة [١].

---

(١)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤٠/٧)

(٢))انظر: المرجع السابق . وانظر : ابن تيمية ، الإيمان ص ١٨ – ٨٩، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط ٢ سنة ١٣٩٢ هـ

(٣).انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (40/7) ، وأيضا (٤٧/٦– ٤٨)

(٤)سورة النساء، الآية : ٤٨

(٥)انظر : ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤٠/٧ –٤١ وانظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى (481/7)

أما المعتزلة فقد ضلوا بسبب أنهم قرروا أصولا عقلية سلفا، ثم حملوا ألفاظ القران عليها، وأولوها بما يوافق ما عندهم من مقررات سابقة ، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا أئمة المسلمين ، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم [٢].

وأما الخوارج فبدعتهم ((إنما هي من سوء فهمهم للقران ، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ، إذ كان المؤمن هو البر التقي ؟ قالوا : فمن لم يكن برا تقيا فهو كافر، وهو مخلد في النار)) [٣].

وهكذا فقد أوجب نأي الفرق عن فهم نصوص الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة أن يقعوا في صنوف من الأخطاء والضلالات ؟ فتارة بإضفاء صفة الغموض والعسر على قضايا الاعتقاد حتى لم تعد سهلة الإدراك يسيرة الفهم ، رغم أنها خطاب الله تعالي لسائر خلقه على اختلاف مداركهم وتفاوت قدراتهم .

وتارة بتفسير حقيقة الإيمان بالتصديق القلبي المجرد من قول اللسان وعمل الأركان ، مما مهد لطوائف كثيرة من المسلمين ترك العمل ! والتفلت من الطاعات والواجبات .

وتارة بحمل الناس على مسالك الشدة والغلظة بالتكفير بالمعاصي، واستحلال الدماء المعصومة ، إلى غير ذلك من صور الانحراف والضلال .

---

(١)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤١/٧)

(٢)نظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٨)

(٣)ا المرجع السابق (١٣/ ٣٠).

وإذا كان من الناس من يزعم أن التقيد بفهم السلف للنصوص من شأنه تعطيل العقل ، أو البعد عن الواقع ، فإن في هذا غلوا في النظرة ، ومجافاة للحقيقة.

وذلك لأن التزام فهم السلف لما جاءت به النصوص هو السبيل لتحقيق العلم الصحيح بها وفهمها وفق مراد الشارع منها، بعيدا عن مسالك التأويل المنحرف لها والشطط في بيانها.

فالله تعالى إنما أنزل القران ليعلم ويفهم ويفقه ويتدبر ويتفكر فيه[1]، كما قال تعالى : (**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وِلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** [2]، وقال تعالى : (**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** [3]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن [4]. وقال تعالى : [5].إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فإن الرسول لما خاطبهم (يعني الصحابة) بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القران أكمل من حفظهم لحروفه ، وبلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه ٠٠)) [6].

([1])ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (١٣/ "٢٨٣)

([2]))سورة ص، الآية : ٢٩

([3]).سورة محمد، الآية : ٢٤

([4]).ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (٣٣٢/١٣)

([5]))سورة يوسف ، الآية : ٢

([6]).مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٥٣

ولما أعرض طوائف من الناس عن الأخذ بالنصوص وفق فهم سلف الأمة وقع بينهم الاختلاف والافتراق والتنازع ؟ مع دعوى كل فرقة أنها على الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مع ما صاحب ذلك من تأويل للنصوص بما يتفق مع مذهبها، ففسدت بذلك عقائد الناس وعباداتهم ، وشاعت فيهم الضلالات والبدع .

ثم إن التقيد بفهم السلف في المسائل العقدية والقضايا الغيبية ، وهي أخبار صادقة ، وحقائق يقينية ثابتة ، وكذا في مناهج العبادة وطرقها وهي لا تتغير ولا تتبدل باختلاف العصور والبيئات ليس فيه ما يمنع من إعمال العقل والبحث والنظر في ميادين المعرفة المختلفة ، فعالم الشهادة ميدان مفتوح أمام الإنسان للتفكير والإبداع ، وذلك بأن يتوجه إلى تدبر آيات الله في الأنفس والآفاق، ويتعرف على سنن الله في خلقه ، وأن يجتهد في تسخير الكون المحيط به لمنفعته ، كما أمر الله تعالى بذلك ودعا إليه، قال تعالى : ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ** [١]، وقال تعالى : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ [٢]، وقال تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ [٣].

ولقد وقف التابعون ومن تبعهم بإحسان عند فهم الصحابة – رضي الله عنهم – للنصوص فلم يمنعهم ذلك من معايشة واقعهم ، ومعالجة مستجداته، وحسن الانتفاع بمعطيات عصورهم وبيئاتهم ، بل

---

(١)سورة العنكبوت ، الآية : ٢٠

(٢)سورة يونس ، الآية : ١٠١ .

(٣)سورة الأعراف ، الآية : ١٨٥

والتفاعل مع الثقافات الأخرى ، واستثمار إيجابياتها النافعة ، والبناء عليها، مع كشف زيف السلبيات الضارة فيها لوقاية الإنسان من آثارها السيئة على سعادته الدنيوية والأخروية [1]

رابعا : الأخذ بالقواعد والأصولي في الاستنباط

تمثل قواعد الاستنباط موازين مستقيمة تسدد حركة العقل ، وتضبط الاجتهاد، ويؤدي الأخذ بها إلى الوصول إلى نتائج صحيحة ومقبولة.

وبغياب هذه الأصول والقواعد يكون الإدراك غير سالم من التأثر بالأهواء وغيرها من المؤثرات التي تجعل تفكير المرء جائرا، ينأى عن الحق ، ويبعد عن الصواب ، ولا يسلم غالبا من الاختلاف والتناقض. وقواعد الاستنباط متنوعة ، منها ما يتعلق بدلالة الألفاظ ، وخواص اللفظ من عموم وخصوص ، وإطلاق وتقييد، ومنطوق ومفهوم ، ومن قواعده ((يثبت الحكم في جميع ما يتناوله العام حتى يقوم دليل التخصيص))،

"والمطلق يجب العمل به على إطلاقه إذا لم يكن هناك قيد يقيده)).

ومن قواعد الاستنباط ما يتعلق برفع التعارض بين الأدلة التي يوهم ظاهرها التعارض ، بالجمع أو الترجيح ، أو نسخ المتقدم من النصوص بالمتأخر منها.

ومنها ما يتعلق بتتريل الوقائع على القواعد العامة ؟ كالمصالح المرسلة ، ورفع الحرج ، وجلب المصالح ودرء المفاسد، ونفي الضرر وارتكاب أخف الضررين ، والنظر في الحالات، وسد الذرائع [1]. إلى غير ذلك من الأصول والقواعد الضابطة للاستدلال والاستنباط .

([1]) انظر: ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٦/٢٧٢- ٢٧٣)،(٣/١٥٨ - ١٥٩)- (١/٣٩٣). عبد الرحمن الزنيدي ، السلفية وقضايا العصر ص ١٠٧ - ١٠٨ ، دار إشبيليا! الرياض ، ظ ١ سنة ١٤١٨هـ

وإذا عدنا إلى الشيخ ابن باز – رحمه الله – فإننا نجده يسير على خطى الراسخين في العلم في الالتزام بقواعد الاستنباط والاستدلال ، وأول ذلك بيانه أنه يتابع الإمام أحمد في الأصول التي سار عليها، وفي هذا يقول : ((مذهبي في الفقه هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله – وليس على سبيل التقليد، ولكن على سبيل الاتباع في الأصول التي سار عليها.

أما مسائل الخلاف فمنهجي فيها هو ترجيح ما يقتضي الدليل ترجيحه ، والفتوى بذلك سواء وافق مذهب الحنابلة أم خالفه ، لأن الحق أحق بالاتباع ، وقد قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً *! [٢] [٣] .

وأصول الإمام أحمد تشمل القواعد التي اعتمدها في الاستمداد والاستنباط ، وقد بين الإمام ابن القيم أصول مذهب الإمام أحمد فقال :

وكان فتاويه مبنية على خمسة أصول :

أحدها: النصوص ، فاذا وجد النص أفتى بموجبه ، ولم يلتفت إلى ما خالفه ، ولا من خالفه كائنا من كان . .

([١])انظر : الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام (٢/٢٣٥) تعليق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي ، ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ. الشوكاني ، إرشاد الفحول ص ١٦٤ . محمد أديب الصالح ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي (٢/٢٠، ١٩٢) ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٤٠٤.. مصطفى الخن، أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء ص ٢٠٢، ٢٥١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠١ هـ

([٢])سورة النساء، الآية : ٥٩

([٣])مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/١٦٦)، وانظر (٨/٣٨)

الأصل الثاني : ما أفتى به الصحابة ، فإذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها إلى غيرها.

الأصل الثالث : إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم.

الأصل الرابع : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده – الباطل ولا المنكر، ولا ما في روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه فالعمل به، بل الحديث الضعيف – عنده – قسيم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن.

الأصل الخامس : القياس ، إذا لم يكن عنده نص ولا قول الصحابة أو أحد منهم ، ولا أثر مرسل أو ضعيف عدل إلى القياس فاستعمله للضرورة ٠٠)) [1].

وإذا كان الشيخ ابن باز يختار اتباع الإمام أحمد في الأصول التي سار عليها ، فإن هذا في الجملة ، وإلا فإن الشيخ – رحمه الله تعالى– يذهب إلى قول جمهور أهل العلم في عدم الاحتجاج بالمرسل [2]وفي هذا يقول : ((والمرسل ليس بحجة عند جماهير أهل العلم كما نقل عنهم الإمام أبو عمر ابن عبد البر في كتابه التمهيد، هذا لو لم يوجد في السنة الصحيحة ما يخالفه ٠٠)) [3].

([1])ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٢٩ – ٣٢)مختصرا.

([2]) انظر : ابن الصلاح ، المقدمة ص ٥ ٢ دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٣٩٨ هـ . أحمد محمد شاكر، الباعث الحثيث شرح مختصر علوم الحديث ص ٤٨ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ سنة ٣٧٠ ١هـ. ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق : أحمد شاكر (٢/٢– ٤) دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ سنة ٠ ٤٠ ١ هـ والمرسل – عند المحدثين –: ما رواه التابعي عن الرسول صلى الله عليه وسلم . انظر : المراجع السابقة.

([3])مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/ ٢٦١)

وأيضا فإن الحديث الحسن لغيره ، والذي هو القسم الرابع من أقسام الحديث المقبول – وهو من الضعيف المقبول عند أحمد – يرى الشيخ ابن باز عدم الأخذ به في الأصول ؟ ومراده عدم الجزم بالإيجاب أو التحريم بناء عليه ، بل غاية ذلك أن يحمل ما جاء في الحديث الحسن لغيره من الأمر على الاستحباب ، وما جاء فيه من النهي على الكراهة ، وذلك لأن الأصل – كما يقول الشيخ – في الحديث الحسن لغيره الضعف ولكن تقوى بنحوه ، فيستأنس به، ولكن لا يعتمد عليه في الإيجاب أو التحريم [١].

ثم هو بعد ذلك يؤكد لزوم الأخذ بقواعد الاستدلال والاستنباط للوصول إلى الحق ، وحتى لا تضل الأفهام ، أو تميل مع الأهواء وزخرف القول ، يقول الشيخ – رحمه الله –: ((قد أجمع علماء المسلمين – من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا – على أن الاجتهاد محله المسائل الفرعية التي لا نص فيها، أما العقيدة والأحكام التي فيها نص صريح من الكتاب أو السنة الصحيحة ، فليست محلا للاجتهاد، بل الواجب على الجميع الأخذ بالنص وترك ما خالفه ، وقد نص العلماء على ذلك في كل مذهب من المذاهب المتبعة ، ثم الاجتهاد – حيث جاز – إنما يكون من أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذين لهم قدم راسخ في معرفة أصول الأدلة الشرعية ، وأصول الفقه والحديث، ولهم باع واسع في معرفة اللغة العربية)) [٢].

ولذا فإن واجب العامة وأشباههم أن يسألوا أهل العلم ، وأن يتحروا من هو أقرب إلى السداد والاستقامة ، ليرشدهم إلى الحق الموافق لشرع الله تعالى [٣]..

---

(١) انظر : ابن باز – شرح بلوغ المرام – باب الوضوء، حديث رقم (٥٥)، في الأشرطة المسجلة.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/١١٦– ١٧ ١). وانظر (٧/١٢٨ – ١٢٩)

(٣) نظر : المرجع السابق (٢/٣١٢)

وأما أن يجتهد وهو لا يستطيع ذلك فهذا من الأغلاط الكبيرة [1].

وأما عن التزام الشيخ ابن باز بقواعد الاستدلال والاستنباط في فتاويه ومؤلفاته وسائر ما صدر عنه؟ فتقيده بنصوص الكتاب والسنة وتقديمها على غيرها أظهر من أن يستدل له، وأما ما لا نص فيه فهو يجتهد في بيان مأخذ الحكم والأصل أو القاعدة التي صدر عنها فيما يختاره ويفتي به، ومن شواهد ذلك ما يلي:

- اختياره تحريم تعليق التمائم من القران بناء على قاعدة ((سد الذرائع " وقاعدة : ((يثبت الحكم في جميع ما يتناوله العام حتى يقوم دليل التخصيص))، يقول – رحمه الله –: ((وأما إذا كانت (التميمة)من القران ، أو من دعوات معروفة طيبة ، فهذه اختلف فيها العلماء؟ فقال بعضهم : يجوز تعليقها، ويروى هذا عن جماعة من السلف ، جعلوها كالقراءة على المريض[2].

- والقول الثاني : أنها لا تجوز، وهذا هو المعروف عن عبدالله بن مسعود، وحذيفة رضي الله عنهما وجماعة من السلف والخلف ، قالوا : لا يجوز تعليقها ولو كانت من القران ، سدا للذريعة ، وحسما لمادة الشر، وعملا بالعموم ؟ لأن الأحاديث المانعة من التمائم أحاديث عامة لم تستثن شيئا [3]،

([1])ا انظر : المرجع السابق (٧/٢٣٤)

([2]))المرجع السابق (٧/ ٢٣٤)

([3])ومنها، قوله عليه الصلاة والسلام : " من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له "، أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٥٤)، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ١٦ ٢) ، دار المعرفة – بيروت

والواجب الأخذ بالعموم ، فلا يجوز شيء من التمائم أصلا، لأن ذلك يفضي إلى تعليق غيرها والتباس الأمر)) [١].

- وبناء على قاعدة ((سد الذرائع)) أيضا، يرى تحريم الاختلاط بين البنين والبنات في المراحل الابتدائية ، سدا لذريعة المعصية والفساد، وفي هذا يقول : ((ولا شك أن اجتماعهم في المرحلة الابتدائية كل يوم وسيلة لذلك و(يعني الوقوع في الفاحشة)، كما أنه وسيلة للاختلاط فيما بعد ذلك من المراحل.

- وبكل حال فاختلاط البنين والبنات في المراحل الابتدائية منكر لا يجوز فعله ، لما يترتب عليه من أنواع الشرور، وقد جاءت الشريعة الكاملة بوجوب سد الذرائع المفضية للشرك والمعاصي ، وقد دل على ذلك دلائل كثيرة من الآيات والأحاديث .. ويكفي ما يجري في الدول المجاورة وغيرها من الفساد الكبير بسبب الاختلاط)) [٢].

- وعند حديث الشيخ ابن باز عن أدلة وجوب الحجاب وتحريم السفور، ومنها قوله تعالى : (ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ [٣]، يعتمد القواعد الأصولية في الاستدلال فيقول : ((فإذا كان الوجه هو أصل الزينة – بلا نزاع – في النقل والعقل ، فإن الله جلت قدرته حرم على المرأة إبداء شيء من زينتها، وهذا عموم لا مخصص له من الكتاب والسنة ، ولا يجوز تخصيصه بقول فلان أو فلان ، فأي قول من أقوال الناس يخصص هذا العموم مرفوض ؟ لأن عموم القران الكريم والسنة المطهرة لا يجوز تخصيصه بأقوال البشر، ولا يجوز تخصيصه عن طريق الاحتمالات الظنية ، أو

---

(١).مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٥١)، وانظر (٥/٣٠٦)

(٢)) . المرجع السابق (٤/٢٤٥ – ٢٤٦)

(٣)سورة النور، الآية : ٣١

الاجتهادات الفردية ، فلا يخصص عموم القران إلا بالقران ، أو بما يثبت في السنة المطهرة ، أو بإجماع سلف الأمة ، ولذلك نقول : كيف يسوغ تحريم الفرع وهو الزينة المكتسبة ، وإباحة الأصل وهو الوجه الذي هو الزينة الأساسية)) [1].

- وفي باب التعبد، يعتمد الشيخ – رحمه الله – القاعدة العامة : ((الأصل. في العبادات الحظر، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله)) [2]، فلا يجوز فيها القياس ، لأنها لا تثبت إلا بالنص من كلام الله عز وجل، أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لقوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ [3]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((من

([1])مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٢٨/٥) قال القرطبي – رحمه الله –: "الزينة على قسمين : خلقية ومكتسبة . فالخلقية: وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية ، لما فيه من المنافع وطرق العلوم . وأما الزينة المكتسبة : فهي ما تحاول المرأة في تحسين خلقتها به كالثياب ، والحلي ، والكحل ، والخضاب))، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٢٩) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٩٦٥م. وذكر الشنقيطي– رحمه الله – أن الزينة في القران يراد بها ما يزين به الشيء وليس من أصل خلقته ، وفي هذا يقول : إن " لفظ (الزينة) يكثر تكرره في القران مرادا به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد به بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها كقوله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾(سورة الأعراف ، الآية : ٣١) وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ سورة الأعراف ، الآية : ٣٢)، وساق عددا من الآيات، ثم قال: وقوله تعالى : ﴿ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ (سورة النور، الآية : ٣١) فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد به ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته " أضواء البيان في إيضاح القران بالقرآن (١٩٩/٦) المطابع الأهلية ، الرياض سنة ١٤٠٣هـ

([2])انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/ ٣٢ ،٣٦٢) (33/7)، (٣٥٨/٢) . ابن سعدي : القواعد والأصول الجامعة ص٣١، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤٠٦ هـ

([3])سورة الشورى ، الآية : ٢١.

أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) [١]، وفي رواية : ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)) [٢].

وقد بنى الشيخ على هذه القاعدة :

حرمة سؤال الله تعالى بحق أوليائه ، أو بجاه أوليائه ، أو بحق النبي صلى الله عليه وسلم أو بجاهه ، فهو ((بدعة – عند جمهور أهل العلم – ومن وسائل الشرك ؟ لأن الدعاء عبادة ، وكيفيته من الأمور التوقيفية ، ولم يثبت عن نبينا "صلى الله عليه وسلم ما يدل على شرعية أو إباحة التوسل بحق أو جاه أحد من الخلق ، فلا يجوز للمسلم أن يحدث توسلا لم يشرعه الله سبحانه)) [٣]. .!

ومما بناه على القاعدة السابقة – أيضا – عدم مشروعية إهداء ثواب القرب إلى غيره ، من صلاة أو تلاوة أو ذكر .. ، فلا يشرع من ذلك إلا ما دلت النصوص على جوازه ، وهي: ((الصدقة عن الأموات وغيرهم ، والدعاء لهم، والحج عن الغير ممن قد حج عن نفسه ، وهكذا العمرة عن الغير ممن قد اعتمر عن نفسه ،

---

(١)) أخرجه البخاري ومسلم ، البخاري في الصلح ، باب إذا اصطلحوا على جور من الصلح مردود، ومسلم في الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، رقم (١٧١٨)

(٢). أخرجه مسلم في الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، رقم (١٧١٨)

(٣)))ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣٢٥/٥)

– إذا كان المحجوج عنه والمعتمر عنه ميتا أو عاجزا لهرم أو مرض لا يرجى برؤه – وهكذا قضاء الصوم عمن مات وعليه صيام ، فكل هذه العبادات قد صحت بها الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)) [1].

ولا شك أن الأخذ بهذه القاعدة الجليلة من شأنه أن يقطع سبل البدع ، ويوصد أبوابها، ويصون عبادة المسلم من أن يشوبها ما يكون سببا في حبوطها، ويلحقها بالبدع المحدثة.

- كما يظهر اعتماد الشيخ القواعد الأصولية عند حديثه عن الجهاد وفضله وأحكامه ، ومراحله ، فيذكر أن الجهاد في الإسلام كان على أطوار ثلاثة:

- "الطور الأول : الإذن للمسلمين في ذلك من غير إلزام ، كما في قوله تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [2].

- الطور الثاني : الأمر بقتال من قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم ، وفي هذا النوع نزل قوله تعالى : (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ [3]، وقوله تعالى : (وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [4]

([1])مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣٦١/٥ – ٣٦٢)، (٣٦١/٨)

([2])سورة الحج ، الآية : ٣٩

([3])سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦

([4]).سورة البقرة ، الآية : ١٩٠

في قول جماعة من أهل العلم.

الطور الثالث : جهاد المشركين مطلقا وغزوهم في بلادهم ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ليعم الخير أهل الأرض ،وتتسع رقعة الإسلام ، ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد.

وهذا الذي استقر عليه أمر الإسلام ، وتوفي عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله فيه قوله عز وجل: (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وجَدتُّمُوهُمْ [١]، وقوله سبحانه : (وقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ [٢] [٣]

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الطور الثاني ؟ وهو القتال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم قد نسخ، لأنه كان في حال ضعف المسلمين فلما قويت شوكتهم ، أمروا بالقتال مطلقا [٤] . ولكن الشيخ ابن باز يختار أن الحكم باق ويعمل به عند الحاجة إليه، كما في حال ضعف المسلمين وعدم استطاعتهم القتال ابتداء فيقاتلون من قاتلهم ، ويكفون عمن كف عنهم ، ويبين وجه اختياره فيقول : " وهذا القول أظهر وأبين في الدليل لأن القاعدة الأصولية أنه لا يصار إلى النسخ إلا عند تعذر الجمع بين الأدلة ، والجمع هنا غير متعذر)) [٥].

---

(١)سورة التوبة ، الآية : ٥

(٢)سورة الأنفال ، الآية : ٣٩ .

(٣)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١٨/٧٣ – ٧٥) مختصرا، وانظر : ١٣١ – ١٣٢

(٤)انظر : المرجع السابق الصفحات نفسها، وانظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القران (٢/٣٤٨) ، وابن كثير. تفسير القرآن العظيم(٢/٣٢٢ -٣٢٣)

(٥))مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (133/18). وانظر : ابن كثير، تفسير القران العظيم (٢/٣٢٣)

وبعد هذا، فقد كان لاعتماد الشيخ ابن باز – رحمه الله – قواعد الاستنباط وأصوله القويمة بالغ الأثر فيما تمتعت به فتاويه وترجيحاته من الوضوح ، وقوة الاستدلال ، وسلامة المنهج ، فجاءت بعيدة عن التناقض والاختلاف ، سليمة من الظنون والأهواء – وإن كان كسائر إخوانه من أهل العلم غير معصوم – مما جعلها محل تقدير العلماء وموضع قبولهم.

المبحث الثاني : المنهج الخلقي في التبليغ والبيان .

التعريف:

الخلق : الدين والطبع والسجية [١]. ويطلق على صفات النفس الباطنة ، قال ابن الأثير، وابن منظور: ((وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة)) [٢]

وفي الاصطلاح عرف الغزالي الخلق بأنه : "هيئة راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية . فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا)) [٣]. وقيل في تعريفه : "إنه صفة مستقرة في النفس – فطرية أو مكتسبة– ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة)) [٤].

وأما المنهج الخلقي فمقتضاه الأخذ بأصول الأخلاق والاستقامة عليها في النفس ومع الآخرين ، وعدم الحيدة عنها في مختلف الأحوال والظروف .

---

(١)ابن منظور: لسان العرب ، والفيروزبادي : القاموس المحيط ، كلاهما باب القاف ، فصل الخاء

(٢).ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ، باب الخاء مع اللام (٢/٧٠) ، ابن منظور : لسان العرب باب القاف ، فصل الخاء

(٣)).الغزالي : إحياء علوم الدين (٣ / ٥٣).

(٤)عبد الرحمن حبنكة الميداني : الأخلاق الإسلامية وأسسها (١/٧)، دار القلم، دمشق ط ١ سنة ٣٩٩ ١هـ

ويتمثل المنهج الخلقي في التبليغ والبيان في الأخذ بالمثل والفضائل التي تزكو بها النفس ، وتتهذب بها الأخلاق ، فيعيش المسلم في كنفها نقي السريرة ، سليم الصدر، محبا للخير، باذلا للمعروف ، ينصر الحق ، وينشر الفضائل ، ويغار على الحرمات .

وأهم هذه الفضائل ؟ الصدق ، والإخلاص ، والنصح ، والقوة في الحق مع الرفق في البيان ، والوضوح ، والتواضع ، والقدوة ، وهي فضائل خلقية واسعة الأثر إلا أن الحديث عنها سيكون من خلال صلتها بالحياة العلمية ، وأثرها في استنهاض همة العالم ليقوم بمسؤولياته ، وتبليغ ما يحمله من العلم.

والحديث في هذا المبحث هو عن تلك الفضائل السابقة ، مع بيان مدى تمثل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله تعالى - لها، وسيره وفق مدلولاتها.

أولا :الصدق والإخلاص

يعرف الصدق بأنه مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا، وأصله في القول ، ويستعمل في الاعتقاد، كقولهم صدق ظنه، وفي أعمال الجوارح ، نحو صدقوا القتال [1].

والصدق رأس الفضائل ، وأساس مكارم الأخلاق ، أمر الله به في كتابه ، وأثنى على المتصفين به، فقال سبحانه : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ! [2]، وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أنه الباعث على كل خير والموصل إلى منازل الأبرار، فقال عليه الصلاة والسلام : ((عليكم

([1])الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٧٢ - ١٧٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ سنة ١٤٠٠ هـ، وعد الغزالي غير ما ذكر من أنواع الصدق ، فقال : " وصدق في النية والإرادة ، وصدق في العزيمة ، وصدق في الوفاء بالعزم " ، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٨٩)

([2])).سورة التوبة ، الآية : ١١٩

بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر، وان البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب ؟ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وان الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)) [١]. والصدق دليل الاستقامة وعنوان الفلاح ، ومتى عرف المرء بالصدق وثق الناس بقوله ، وانتفعوا بنصحه ، وارتفع بينهم قدره .

وأما الإخلاص فحقيقته أن يعمل الإنسان العمل لا يريد به إلا وجه الله ، ولا ينتظر من غيره جزاء ولا شكورا [٢].

والإخلاص شرط لقبول الأعمال وترتب الثواب عليها، ((فالأعمال الصالحة كلها إذا وقعت من المرائين فهي باطلة لفقدها الإخلاص الذي لا يكون العمل صالحا إلا به) [٣]، قال تعالى : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا [٤]، قال ابن كثير – رحمه الله– :((قوله : (فليعمل عملا صالحا) ما كان موافقا لشرع الله ، (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وهو الذي يراد به وجه الله عز وجل– لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل ، لابد أن يكون خالصا لله عز وجل، صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم " [٥]

---

(١).أخرجه البخاري ومسلم ، البخاري في الأدب ، باب قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ رقم (٩٤ ٦٠)، ومسلم في البر والصلة ، باب قبح الكذب ، وحسن الصدق وفعله ، رقم (٠٦ ٢٦، ٢٦٠٧)

(٢). انظر : الغزالي ، إحياء علوم الدين (٣٨١/٤) . العز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٠(١٢٣/١)

(٣)ابن سعدي ، القواعد والأصول الجامعة ص ٢٨

(٤).سورة الكهف ، الآية : ١١٠

(٥)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(١٠٣/٣)

ولقد كان لهذين الخلقين شأن كبير عند الشيخ ابن باز – رحمه الله – تمثلا لهما، ودعوة إليهما، وترغيبا فيهما، وبيانا وأثرهما فيمن استقام عليهما.

فعند حديثه عن مسؤولية طالب العلم في مجتمعه ، يؤكد لزوم أخذه بهذين الخلقين، لأنه يبلغ عن الله تعالى أمره ونهيه ، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم سنته، ولذا يجب أن يكون قصد سعيه وجه الله والدار الآخرة ، لا حمد الناس ، ولا مراءاتهم، ولا عرضا من الدنيا[1]، كما قال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وعَمِلَ صَالِحًا وقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [2].

كما يتعين عليه الصدق في الأقوال والأعمال ، وفي التبليغ والبيان ، فلا يكتم شيئا مما علم، ولا يقول على الله بغير علم [3].

ومتى استقام طالب العلم على هذين الخلقية كان له بالغ الأثر فيمن يتصل به، وتعاظم انتفاع الناس بما صدر عنه.

يقول الشيخ رحمه الله : ((وإنما يتم هذا الفضل ويحصل هذا الخير ويتضاعف بالصبر والإخلاص والصدق ، فمن ضعف صبره ، أو ضعف صدقه ، أو ضعف إخلاصه لا يستقيم مع هذا الأمر العظيم ، ولا يحصل به المطلوب كما ينبغي ، فالمقام يحتاج إلى إخلاص ، فالمرائي ينهار ولا يثبت عند الشدائد، ويحتاج إلى صبر فذو الملل والكسل لا يحصل به المقصود على التمام ...)) [4]

([1])ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/٢٣٦)- ٢٣٧)

([2])سورة فصلت ، الآية : ٣٣ .

([3])ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٧/ ٢٢٣ – ٢٢٧)

([4])المرجع السابق (٣/ ١١٤)

ويقول : ((فالداعي إلى الله سبحانه الصادق المخلص له البشرى بالخير، والعزة والكرامة وحسن العاقبة)) [١].

وأما عن تمثله لهذين الخلقية الكريمين ، أما الصدق فلا يعرف سواه ، لا مع الكبير ولا مع الصغير، لا في المحبوب ولا في المكروه ، كما كان – رحمه الله – صريحا في قوله ، وفي رده، وفي جوابه .. وكان لا يرضى بديلا عن الصدق والوضوح مهما كان الأمر .. [٢].

وأما الإخلاص فأمره إلى الله تعالى ، ولكن غاية ما هنالك أن تظهر أماراته ، ويلمس أثره ، ومن علاماته في العالم ، تعظيمه لنصوص الشرع ، وتحريه للسنن قولا وعملا، واتباعه مناهج سلف الأمة في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك ، والاجتهاد في تبليغ العلم ونشره ، والدعوة إلى الله عز وجل، والنصح للمؤمنين ، ومحبة الخير للناس كافة ، والصدع بكلمة الحق ، ومدافعة الباطل ، والرد على دعاته ، والبذل الواسع في ذلك، والاستعلاء على حظوظ الدنيا وشهواتها.

ولقد كان للشيخ ابن باز – رحمه الله – القدح المعلى ، والحظ الوافر من ذلك كله، كما بلغ غاية بعيدة المنال في محبة القلوب له، وثناء الناس عليه ، وحمدهم لأعماله ومساعيه ، وثقتهم بعلمه ونصحه، وتلقيهم بالقبول ما صدر عنه، وليس – رحمه الله – بمعصوم ، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٧/ ٢٣٩)

(٢) انظر :حمد بن إبراهيم الشتوي ، الإبريزية في التسعين البازية ص . ٣ – ٣١

ثانيا : النصح

النصح والنصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن: إرادة الخير للمنصوح له[١].

وهي عماد الدين وقوامه ، فعن تميم الداري – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدين النصيحة)) قلنا لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) [٢]. وقد بين العلماء معنى النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [٣]،

ومنه يتضح أنها ذات شقين:

أحدهما : يتعلق بالنفس ، وذلك بحملها على ما توجبه النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

والآخر: يتعلق بالناس ، بأداء حقوقهم ، ودعوتهم وتوجيههم إلى مقتضى النصيحة في ذلك كله، وهو ما يحصل به كمال التبليغ والبيان .

والنصح للناس – أئمتهم وعامتهم – هو هدي الأنبياء والمرسلين وخواص المؤمنين ، كما قال الله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وأَنصَحُ لَكُمْ وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ [٤]،

---

(١).النووي ، شرح صحيح مسلم (٢٣٨/١) ، دار الشعب ، القاهرة . ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (٦٣/٥)

(٢).أخرجه مسلم في الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، رقم (٥٥)

(٣))كالنووي، في شرح صحيح مسلم (238/1) وابن رجب، في جامع العلوم والحكم ص ٦٧، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض

(٤).سورة الأعراف ا لآية : ٢ ٦

وقال تعالى عن هود عليه السلام :(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ! [١]، وقال تعالى عن صالح عليه السلام : (يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي ونَصَحْتُ لَكُمْ ولَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [٢]وقال تعالى عن شعيب عليه السلام : (يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي ونَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ [٣].

وعن جرير بن عبدالله – رضي الله عنه – قال: " بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم)) [٤].

وقال بكر بن عبدالله المزني : ((ما فاق أبو بكر – رضي الله عنه– أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم ولا بصلاة ، ولكن بشيء كان في قلبه)). قال: (الذي في قلبه الحب لله عز وجل، والنصيحة في خلقه [٥].

والنصح للخلق متى اقترن به كمال العلم ، وكمال البيان ، فإن الدعوة والتبليغ يقعان على أتم وجه وأكمله.

---

(١)سورة الأعراف ، الآية : ٦٨ .

(٢)سورة الأعراف ، الآية : ٧٩

(٣)سورة الأعراف ، الآية : ٩٣ .

(٤)متفق عليه ، أخرجه البخاري في الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : الدين النصيحة ، رقم (٥٧)، ومسلم في الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، رقم (٥٦)

(٥).ابن رجب، جامع العلوم والحكم ص ١ ٧

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : ((وأما الأمور الإلهية، والمعارف الدينية فالرسول أعلم الخلق بها، وارغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة ، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود، ومن سوى الرسول إما أ ن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما ألا تكون له إرادة فيما علمه من ذلك، فلم يبينه إما لرغبة وإما لرهبة ، وإما لغرض آخر، وإما أن يكون بيانه ناقصا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان)) [1].

ومن ينظر في تراث الشيخ ابن باز – رحمه الله – ويتعرف على سيرته ، يجد عنايته التامة بقاعدة النصيحة ، وحرصه الشديد على القيام بهذه الفريضة العظيمة ، حيث أمضى عامة عمره في التعليم والإفتاء، والتأليف ، والدعوة إلى الله ، ونشر محاسن الدين ، والذي عنه، إلى غير ذلك من أعمال الخير والبر.

ويمكن إجمال منهجه في النصيحة من خلال القواعد الآتية:

الأولي :

تقديمه لما هو أهم وألزم مما جاءت به الشريعة ، في البيان والدعوة ، ولذا كان في أغلب محاضراته ومخاطباته ، وما يلقيه من كلمات يتجه إلى تقرير مسائل العقيدة ، وبيانها، وتفصيل القول فيها، والتحذير مما يضادها، وهو في هذا مقتف أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسالك سبيله القويم ((فإنه صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله بدأ بالنهي عن أعظم أدواء المجتمع وهو الشرك بالله سبحانه ، فلم يزل صلى الله عليه وسلم من حين بعثه الله يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم إلى التوحيد إلى أن مضى عليه

([1])مجموع الفتاوى (١٣/١٣٦)

عشر سنين ، ثم أمر بالصلاة ، ثم ببقية الشرائع ، وهكذا الدعاة بعده عليهم أن يسلكوا سبيله، وأن يقتفوا أثره ، بادئين بالأهم فالأهم)) [١].

وإذا كان الشيخ – رحمه الله – يقرر أنه: ((إذا كان المجتمع مسلما ساغ للداعي أن يدعو إلى الأهم وغيره ، بل يجب عليه ذلك حسب طاقته ؟ لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله ، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه) [٢].

ولذا لم يغفل الشيخ – رحمه الله – جوانب الشريعة الأخرى ، فكتب الرسائل والمختصرات الواضحة في بيان أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فجاءت عظيمة النفع يسيرة الفهم من عامة الناس . كما كتب في الأخلاق والآداب ، وله محاضرات قيمة في ذلك.

ومع هذا كله فقد كانت عنايته بالعقيدة وأحكامها ظاهرة جلية، ولعل الذي حمله على ذلك هو كثرة الخلل فيها، وانتشار مظاهر الشرك في كثير من البلاد الإسلامية ، ولما كان يتمتع به خطاب الشيخ – رحمه الله – من العموم حيث تصل أصداؤه إلى عامة البلاد الإسلامية وغيرها.

---

(١)ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/١ ٣٢)

(٢)المرجع السابق ، الصفحة نفسها

الثانية:

عنايته بالنصيحة لولاة الأمر من الأمراء والعلماء؟ لأن لهم من القدرة والأثر في حياة الناس ما ليس لغيرهم وفي الأثر: ((صنفان إذا صلحوا صلح الناس : العلماء والأمراء)) [1].

أما الولاة فإنهم إذا استقاموا على طاعة الله ، وأخذوا بشرعه، صلحت أحوال الناس ، وانتظمت أمورهم ، وقامت مصالحهم ، وعاشوا حياة كريمة.

يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله – : ((ومعلوم ما يحصل من ولاة الأمر المسلمين من الخير والمنفعة العظيمة ، من إقامة الحدود، ونصر الحق ، ونصر المظلوم ، وحل المشاكل ، وإقامة الحدود والقصاص ، والعناية بأسباب الأمن ، والأخذ على السفيه الظالم ..)) [2]

ولذا كانت النصيحة لهم من ألزم الأمور، وتكون بالسمع والطاعة لهم في المعروف ، والدعاء لهم، والتعاون معهم على الخير، ونصيحتهم بالرفق واللين ، كتابة أو مشافهة ، واجتناب سبهم والقدح فيهم وإشاعة مثالبهم ونقدهم في وسائل الإعلام وعلى المنابر، لما في ذلك من الضرر والفساد الكبير[3].

([1])روي مرفوعا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولا يصح، بل قال الألباني: موضوع ، وجاء نحوه من قول سفيان الثوري – رحمه الله – انظر: أبا نعيم ، حلية الأولياء(٩٦/٤) (٥/٧)، دار الكتاب العربي ، ط ٤ سنة ١٤٠٥ هـ. الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٥/١) المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٤ سنة ١٣٩٨ هـ

([2]).مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩٥/٩ – ٩٦)

([3]).انظر : .المرجع السابق (٢٧١/٧_٣١١)(٩٨/٩)

وقد كان الشيخ – رحمه الله – يدعو إلى هذا المسلك الإيجابي الرشيد، ويأخذ به، وهذا المنهج هو المتوافق مع ما جاء به الشرع ، فقد قال الله – عز وجل- : فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [١]،

ففي الآية ((توجيه من الله سبحانه لرسوليه: موسى وهارون لما بعثهما لفرعون ليتأسى بذلك الدعاة ، ويتخلقوا به في دعوتهم إلى الله ، لاسيما مع الرؤساء والعظماء ..)) [٢].

وأما العلماء بشرع الله تعالى فهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته، والمحيون لما مات من سنته ، الناطقون بالحق والداعون إليه ، والعارفون بالشر والمحذرون منه، بهم يعرف الحلال والحرام ، وبهم يعبد الله تعالى على نور وبصيرة .

ولمكانة العلماء، وعموم نفعهم ، وعظم حاجة الناس إليهم ، فقد عني الشيخ ابن باز – رحمه الله تعالى – باستنهاض هممهم إلى أن يقوموا بواجبهم في تبليغ دين الله تعالى ، والدعوة إليه ، والترغيب في الاستقامة عليه ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، مستفيدين في ذلك كله من منجزات العصر، وما استجد من وسائل إعلامية وغيرها،

وأن يصبروا على ذلك حتى يحصل بهم المقصود

. يقول الشيخ – رحمه الله – : ((فالواجب على أهل العلم والإيمان ، وعلى خلفاء الرسول أن يقوموا بهذا الواجب (الدعوة إلى الله)، وأن يتكاتفوا فيه، وأن يبلغوا رسالات الله إلى عباد الله ، ولا يخشوا في الله لومة لائم.

---

(١)سورة طه ، الآية : ٤٤

(٢).ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٧١/٧)

فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة والخطابة ، وبالإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا))[1].

ويتحدث – رحمه الله – عن دعاة الباطل من اليهود والنصارى ، ومن تشبه بهم من هذه الأمة ممن ينشرون الأفكار الهدامة ، والدعايات المضللة ، ويدعون إلى الرذيلة ، ويؤكد لزوم التصدي لهم فيقول : ((وإني لأرى لزاما على الذين لم يساهموا في هذا الميدان من القراء النابهين، والعلماء المبرزين أن ينفضوا عنهم غبار الكسل وشبه التواكل ، وأن يقتحموا الميدان بصدق وشجاعة وعلم وحلم حتى ينصروا دينهم ويحموا شريعتهم ، ويهدوا الناس إليها، ويرشدوهم إلى الصراط المستقيم ، ولهم بذلك مثل أجور أتباعهم إلى يوم القيامة ، كما قال الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم : "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا))[2] [3].

([1]))مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٧١/٧)

([2]))رواه مسلم ، في العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أ و ضلالة ! رقم (٢٦٧٤)

([3]))مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٠ ٠ ٤)، وانظر :) (٩ / ٤ ٢٢)

الثالثة:

ومن أوجه النصيحة التي امتاز بها الشيخ – رحمه الله – وقوفه مع طلبة العلم والدعاة ، والمشتغلين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشد أزرهم ، والسعي في حل مشكلاتهم ، وترشيد حركتهم ، ورد ما يفتريه عليهم أهل الضلالة من دعاوى باطله ، وافتراءات كاذبة.

فأسهم بذلك في تنشيط الدعوة إلى الله ، وتسديد سعيها، وتنمية إيجابياتها.

بل إن الشيخ – رحمه الله – تصدى لمن يقدح في طلبة العلم والدعاة إلى الله ، واشتد نكيره على من يقدم على ذلك ولو كان من المنتسبين للعلم ، ولاسيما لمن يعلن ذلك وينشره : (لما في ذلك من التنقيص للدعاة إلى الحق ، وتثبيط عزائمهم ، وتشجيع أهل الفسق ضدهم ، في وقت تكاتف فيه دعاة الباطل والمذاهب الهدامة على نشر باطلهم وإعلان مذاهبهم)) [١].

وإذا كان قد يقع من طلبة العلم أو الدعاة أخطاء، أو اجتهادات لا يوافقون عليها، فإن: ((الواجب على المسلم حمل أحوال إخوانه على أحسن المحامل، وعلاج ما قد يقع من الخطأ بالطرق الشرعية التي تبني ولا تهدم ، وتشجع الحق ولا تخذله ، وتنصر الحق وتدمغ الباطل ، لا أن يظن بهم السوء، ويشجع على إماتة دعوتهم ، وتشويه سمعتهم ، وتشجيع أهل الباطل ضدهم ، وتحريض ولاة الأمر على إيقاف حركتهم)) [٢].

ولا ينسى – رحمه الله – هؤلاء المخالفين لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من النصيحة ، فيقول : ((فالذي أنصح به هؤلاء الإخوة الذين وقعوا في أعراض الدعاة ونالوا منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى مما

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣ /٤ ١ ٢)، وانظر : (٣١٦/٧ – ٣١٩)

(٢)(r المرجع السابق (٢١٥/٣)، وانظر : (٣١٨/٧)

كتبته أيديهم ، أو تلفظت به ألسنتهم مما كان سببا في إفساد قلوب بعض الشباب وشحنهم بالأحقاد والضغائن ، وشغلهم عن طلب العلم النافع ، وعن الدعوة إلى الله بالقيل والقال ، والكلام عن فلان وفلان ، والبحث عما يعتبرونه أخطاء للآخرين وتصيدها، وتكلف ذلك.

كما أنصحهم أن يكفروا عما فعلوا بكتابة أو غيرها مما يبرؤون فيه أنفسهم من مثل هذا الفعل ، ويزيلوا ما علق بأذهان من يستمع إليه من قولهم ، وأن يقبلوا على الأعمال المثمرة التي تقرب إلى الله وتكون نافعة للعباد . . . " [1]

(1) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٧/ ٣١٨)

.الرابعة:

أنه كان يتفاعل مع بيئته وأحوال مجتمعه ، وقضايا أمته ، ويشعر بالمسؤولية – لما رزقه الله تعالى من العلم والبصيرة – عما يخل بعقائد الناس أو يقدح في إيمانهم وأخلاقهم ، ومن ذلك:

-أنه إذا نزلت نازلة من النوازل ، أو استجدت معاملة من المعاملات ، أو انتشرت شائعة بين الناس ، بادر – رحمه الله – للكتابة فيها، أو إصدار فتوى عامة ونشرها بين الناس [١]،

– أنه كان يقف مع قضايا المسلمين ، ويبذل الجهد في التخفيف من آلامهم ومعاناتهم ، ويحث حكام المسلمين على ذلك، ويرغب عامة المسلمين في الوقوف مع إخوانهم في شدائدها وكربهم بما يستطيعون من دعم مادي ومعنوي [٢]كما يدعم المواقف الإيجابية من حكام المسلمين وعلمائهم ويؤازرها [٣]

ثالثا : الوضوح

إن من مزايا هذا الدين الوضوح والإشراق ، وهذا الوضوح شامل لجميع أحكام الشريعة ، ولاسيما واجباتها على كل مسلم ، فهي سهلة ميسرة لا تعقيد فيها ولا غموض ، فمسائل الاعتقاد، من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر.. واضحة لكل مسلم.

([١])انظر: حمد الشتوي ، الإبريزية في التسعين البازية ص ١٠٨. وانظر أمثلة ذلك وشواهده في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/١٧٨، ٣٩١، ٤١١) (٣/٣٥١) (٦/٩٦، ١١٧)

([٢]) . انظر شواهد لذلك : ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/١٧٤ ، ٢٩٥، ٥٢٧) (٥/١٤٨ ، ١٦٢، ١٩٣) (٧/٣٦٠) (٨، ٢٥٦، ٢٥٧)

([٣]) . انظر : المرجع السابق (٤/١٨٥) (٦/٣٣٠) (٨/٢٥٥ ، ٤٣٤)

وأركان الإسلام وعباداته وأخلاقه وآدابه كلها على قدر من الوضوح والظهور بحيث لا تحتاج إلى بيان طويل لتجليتها والتعريف بها.

و إذا كانت هذه الخصيصة هي طبيعة هذا الدين ، وسمة مصدريه الكتاب والسنة ، فإن من المتعين على من يتصدى لوظيفة التبليغ أن يعنى بالبيان والوضوح تأصيلا وتفصيلا، لفظا ومعنى ، بما ييسر على الناس فهم حقائق الدين وأحكامه وآدابه، ويشوق القلوب إلى الاستقامة عليه ، وإثارة على ما سواه .

ولقد كان الشيخ ابن باز – رحمه الله تعالى – حريصا على غرس تعظيم الشريعة ومحبتها في النفوس ، وتيسير فهمها والاستقامة عليها من كافة طبقات الناس ، ولذا كان فيما يلقيه أو يمليه واضح البيان ، سهل العبارة ، فهو يبين الأحكام الشرعية بأسلوب مبسط خال من التعقيد أو الغموض ، وهو يعتمد – أحيانا – التكرار المعنوي [1]، ولاسيما في مسائل الاعتقاد، ليتحقق كمال البيان ، ولا يبقى في المسألة أدنى لبس أو خفاء.

كما كان الشيخ يعنى بذكر القيود والضوابط وبالتفصيل بما يجلي حقيقة الشيء وأنواعه ، ويعطي كل نوع منه ما يناسبه من الأحكام .

- ففي حديثه عن الشرك ، يذكر أنه نوعان : شرك أكبر، وشرك أصغر، وأن من الشرك الأكبر طاعة المخلوق في معصية الخالق ، وهو لا يكتفي بمجمل القول في هذا النوع من الشرك بل يبين أن الطاعة الموقعة في الشرك الأكبر هي ما كانت على وجه الاستحلال للمحرم ، لا مطلق الطاعة في المعصية ، وفي هذا يقول : ((فالشرك الأكبر: هو ما يتضمن صرف العبادة لغير الله أو بعضها، أو يتضمن جحد شيء مما أوجب الله من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة"

(1)والمراد به بيان المعنى بعبارات مختلفة ، وانظر شواهد لذلك في بيانه لمعنى ألا إله إلا الله) في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/٥) وما بعدها. مع ما سيذكر من الشواهد

كالصلاة ، وصوم رمضان ، أو يتضمن جحد شيء مما حرم الله ، مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، كالزنى والخمر ونحوها، أو يتضمن طاعة المخلوق في معصية الخالق على وجه الاستحلال لذلك ، وأنه يجوز أن يطاع فلان أو فلانة فيما يخالف دين الله عز وجل، من رئيس أو وزير أو عالم أو غيرهم.

- فكل ما يتضمن صرف بعض العبادة لغير الله ، كدعاء الأولياء، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، أو يتضمن استحلال ما حرم الله ، أو إسقاط ما أوجب الله؟ كاعتقاد أن الصلاة لا تجب، أو الصوم لا يجب، أو الحج مع الاستطاعة لا يجب، أو الزكاة لا تجب، أو اعتقد أن مثل هذا غير مشروع مطلقا، كان هذا كفرا أكبر، وشركا أكبر، لأنه يتضمن تكذيب الله ورسوله ...[1].

- – وعن حكم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه تفصيل، فإن كان ذلك باتباعه ومحبته وطاعة أوامره وترك نواهيه والإخلاص لله في العبادة فهذا هو الإسلام وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ، وهو الواجب على كل مكلف ، وهو الوسيلة للسعادة في الدنيا والآخرة .

- أما التوسل بدعائه والاستغاثة به وطلبه النصر على الأعداء والشفاء للمرضى ، فهذا هو الشرك الأكبر، وهو دين أبي جهل وأشباهه من عبدة الأوثان ، وهكذا فعل ذلك مع غيره من الأنبياء والأولياء، أو الجن أ و الملائكة أو الأشجار أو الأحجار أو الأصنام .

- وهناك نوع ثالث يسمى التوسل وهو التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم ، أو بحقه، أو بذاته ، مثل أن يقول الإنسان : أسألك يا الله بنبيك ، أو جاه نبيك ، أو حق نبيك ، أو جاه الأنبياء، أو حق الأنبياء، أو جاه الأولياء والصالحين وأمثال ذلك، فهذا بدعة ومن وسائل الشرك ، ولا

---

(١)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤٠٣/١) .

يجوز فعله معه صلى الله عليه وسلم ولا مع غيره ؟ لأن الله سبحانه وتعالى لم يشرع ذلك، والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما دل عليه الشرع المطهر ٠٠)) [١].

- وأما عن الوضوح في خطاب الشيخ ، فان : "من خصائصه الخطابية قدرته على ترتيب أفكاره حتى لا تتشتت ، وضبطه لعواطفه حتى لا تغلب عقله ، ثم سلامة أسلوبه الذي لا يكاد يعتريه اللحن في صغير من القول أو كبير، وأخيرا تحرره من كل أثر للتكلف)) [٢].

---

(١)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣٢٢/٥)

(٢)محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم (١ /٩٦) دار الاعتصام ، القاهرة ، ط ٣

رابعا : القوة في الحق مع الرفق واللين

- إن صدق الإيمان وقوته ، وكمال العلم ورسوخه يضفيان على صاحبهما قوة دافعة تظهر في أعماله كلها، فإذا فكر كان مطمئنا، وإذا تكلم كان واثقا، وإذا عمل كان ثابتا، يأخذ تعاليم الدين بقوة (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ [١]، وتتجلى فيه الخيرية التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير.." [٢].

- ومن جوانب القوة في الراسخ في العلم ، القوي الإيمان ، القوة في بيان الحق والصدع به، فهو يبتعد عن المداهنة المذمومة ، فلا يجامل أو يصانع على حساب الحق ، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

- وهي قوة مقرونة بالصدق والإخلاص ، ومحاطة بالنصح ، ولذا فهي تبتعد عن مشاعر الشماتة أو قصد التشهير، كما تأتي بأسلوب الرفق واليسر واللين.

- ولقد كانت القوة في الحق من أجل خصال الشيخ ابن باز – رحمه الله – فهو((من أشد الناس غيرة على حقائق الوحي ، واستمرارها سليمة من كل شائبة ، وفي طبعه النفور من كل شذوذ عن هذا السنن ، فإذا سمع أي شيء من ذلك لم يلبث أن ينهض للتعقيب عليه بما يبين وجه الحق، ولكن لا يتجاوز في أي كلام له نطاق الحكمة والموعظة الحسنة ، مع أتم المراعاة لمشاعر الجانب المخالف.

---

(١)سورة البقرة ، الآية : ٦٣

(٢)).أخرجه مسلم ، في القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستهانة ، رقم (٢٢٦٤)

- فهو لا يعرف المهادنة لأي شذوذ عن مهيع الحق ، ولكن في أسلوب التبليغ يقدم اللين واليسر والبعد عن كل تنفير[1]

- هذا هو الأصل الأصيل عن الشيخ ابن باز – رحمه الله –، القوة في الحق ، مع الأخذ بالرفق في بيانه والدعوة إليه ، يفعل ذلك حتى مع الأخطاء الكبيرة إذا صدرت عن جهل أو خطأ [2] لأن الغاية بيان الحق، وتأليف القلوب عليه ، وترغيبها في قبوله والانقياد له.

- إلا أنه إذا عرف من المخالف الظلم والبغي والسعي في الفساد، فإنه يجافي اللين ، فتأتي كلماته – في بيان حكم الشرع – قوية مدوية تعبر بصدق عن عظيم غيرته على دين الله ، وتعظيمه لشرعه ، صريحة تفضح المفسدين ، وتكبت الضالين الذين يجاهرون بالفساد، ويزينون للناس سبل الغواية.

- فمن ذلك أنه لما نشر في بعض الصحف المحلية مقال يتضمن الاعتراض على شريعة الله عز وجل، بالطعن في قوامة الرجال على النساء، وعلى وصف النساء بنقصان العقل والدين ، نهض – رحمه الله– لمدافعه هذا الباطل.

- ومما قال: ((ولقد دهشت لهذا المقال الشنيع ، واستغربت جدا صدور ذلك في مهبط الوحي ، وتحت سمع وبصر دولة إسلامية تحكم الشريعة ، وتدعو إليها، وعجبت كثيرا من جرأة القائمين على هذه الجريدة حتى نشروا هذا المقال الذي هو غاية في الكفر والضلال ، والاستهزاء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والطعن فيهما، وليس هذا ببدع من القائمين على هذه الصحيفة ، فقد عرفت بنشر المقالات الداعية إلى الفساد والإلحاد والضرر العظيم على المجتمع ،

([1])محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم (١ /٩٦)

([2])نظر : شواهد لذلك (١٤٦/١ ، ٣ ٠ ٤) (١٧٣/٢) (٣٣٣/٨)

كما عرفت بالحقد على علماء الإسلام والاستطالة في أعراضهم والكذب عليهم ، لأنه ليس لدى القائمين عليها وازع إيماني ، ولم تردع بوازع سلطاني ، فلهذا أقدمت على ما أقدمت عليه من الكفر والضلال في هذا المقال الذي لا يقوله ولا ينشره من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يقوله وينشره من يحترم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم)) [١].

- إلى إن قال: ((وإن هذه الصحيفة قد تجاوزت الحدود واجترأت على محاربة الدين والطعن فيه بهذا المقال الشنيع جرأة لا يجوز السكوت عنها، ولا يحل لوزارة الإعلام ، ولا للحكومة الإغضاء عنها، بل يجب قطعا معاقبتها معاقبة ظاهرة ، بإيقافها عن الصدور، ومحاكمة صاحبة المقال ، والمسؤول عن تحرير الصحيفة وتأديبهما تأديبا رادعا، واستتابتهما عما حصل منهما ...)) [٢].

- وبمثل هذه القوة الإيمانية المستنيرة بالعلم ، ينتصر الحق ، ويحمي جناب الدين ، وبها تسمو النفوس ، وتزكو القلوب ، وتنال الخيرية ، يظفر بالمحبة الإلهية.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١٦٥/٣)

(٢) المرجع السابق (١٦٨/٣- ١٦٩). وانظر: (٣٠٤/٢)، (٢٢٩/٣ ، ٢٦٨) ، (٢٠٦/٤) (٣٢٦/٦) ، (١٩٦/٨)

خامسا : التواضع

- التواضع هو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده .

- وقد جاء الأمر به في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد))[1].

- والتواضع تذلل للمؤمنين ، وهو تذلل محمود لأن باعثه المودة والرحمة، ورجاء ثواب الله في الآخرة ، لا لغرض دنيوي أو منفعة عاجلة ، وقد قال الله تعالى مثنيا على من تمثل بهذا الخلق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [2].

- والتواضع سبب للرفعة لأنه يحمل صاحبه على قبول الحق، وتعظيمه والانقياد له، كما يحمله على الرحمة بالخلق ، والإحسان إليهم ، وخفض الجناح لهم، ومن كان بهذه المثابة رفع الله قدره في القلوب ، وطيب ذكره على الألسنة ، وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة.

([1])أخرجه مسلم ، في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٢٨٦٥)

([2]).سورة المائدة ، الآية : ٥٤

- ويعظم هذا الخلق وتزداد هيبته وجماله إذا صدر عمن عظم قدره ، وارتفعت مترلته ، واتسع علمه ، ليكون التواضع رسول المودة له مع الخلق، ومفتاح القلوب لقبول ما يدعو إليه من الحق ، وهكذا كان حال الشيخ ابن باز –رحمه الله – متمثلا لهذا الخلق ، مؤثرا له ، وداعيا إليه [١].

- ففي صلته بالناس ، لا يأتيه زائر أو سائل ، أو مراجع إلا ويعطيه حقه المناسب من مجلسه وإقباله ، وكان له عناية خاصة بالفقراء والضعفاء، حتى إن منهم من تأخذه نشوة الاعتزاز بما يجد من انبساطه إليه، واهتمامه بشؤونه الخاصة كأنه واحد من أقرب الناس إليه [٢].

- ومن تواضعه استجابته لدعوات الآخرين ، فلا يستنكف عن حضورها إلا لعذر قاهر، وقد يكون الداعي تلميذا له، أو واحدا من غمار الناس[٣].

- وبابه مفتوح للكبير والصغير، والغريب والقريب ، لا يرد طالبا، ولا ينهر سائلا، يقابل الجفاء بالحلم ورحابة الصدر، رحمه الله تعالى وأعلى مترلته

---

(١).انظر : ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٦٨/٦) (٧/ ٢١٤)

(٢)انظر : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم (١ / ٨٦)

(٣)المرجع السابق (١/ ٨٧) .

سادسا : القدوة

- القدوة الحسنة هي المثال الحي للسلوك الأمثل في الحياة ، وهي الترجمة الواقعية للقيم والاخلاق والآداب .

- ولأهمية القدوة ، وأثرها العميق في تقوية العزائم ، وبعث النفوس على سلوك سبيل الخير والاستقامة عليه ، جاء التوجيه إلى الاقتداء في كتاب الله عز وجل، فقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالتأسي بمن سبقه من الأنبياء في قيامهم بأمر الله عز وجل، وصبرهم على صنوف الأذى في سبيله ، فقال تعالى : فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ولا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ [1]وقال تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ [2].

- كما وجه الله تعالى الأمة إلى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يجعلوا من أقواله وأعماله وسنته معيارا لما يقرب إلى الله عز وجل، وينال به الأجر والثواب منه، فقال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [3].

- وفي القدوة الصالحة برهان على يسر أعمال الخير والبر، وكشف عن عظيم نفعها، وسمو أهلها.

([1])سورة الأحقاف ، الآية : ٣٥

([2])سورة الأنعام ، الآية : ٩٠

([3])سورة الأحزاب ، الآية : ٢١

- والعالم الصادق الناصح هو من يقود الآخرين بهديه وسلوكه قبل قوله ومنطقه ، وهو بذلك أكثر إقناعا بما يدعو إليه من الحديث عنه والثناء عليه.

- وقد ذم الله تعالى من يخالف قوله فعله ، فقال تعالى : أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وأَنتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ! [١].

- قال ابن سعدي – رحمه الله – : ((فالعقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير و لم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه ، دل على عدم عقله وجهله ، خصوصا إذا كان عالما بذلك قد قامت عليه الحجة ، والآية عامة لكل أحد)) [٢].

- ومما جاء في الوعيد فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ثم يخالف قوله فعله ، ما روى أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب[٣] بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى، قد كنت أمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتية)) [٤].

---

(١)سورة البقرة ، الآية : ٤٤

(٢)).ابن سعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤٢٠هـ .

(٣)الأقتاب : جمع قتب وهو ألمعي ، انظر : المعجم الوسيط ص ٧١٤،، المكتبة الإسلامية ، تركيا، ط ٢. والمراد : خروج أمعائه من مكانها.

(٤)أخرجه مسلم ، في الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله (٠٨ ٧٤)

- وتتجسد الأسوة الحسنة في حياة الأمة المسلمة بعلمائها العاملين، الذين يخشون الله ، و"يبلغون رسالته ، وينصرون دينه ، ويجاهدون في سبيله ، ويصبرون على الأذى رجاء ثوابه.

- ولقد كان الشيخ ابن باز – رحمه الله – من العلماء الربانيين الذين يقومون بمسؤولياتهم ، وينهضون بما استحفظوا من الدين ، وما أوتوا من العلم ، ينظر في أحوال الناس ، ويتحسس عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم، ويحيي بينهم السنن ، ويحذر من البدع ، ويجتهد في التبليغ ، مع الرفق في الخطاب ، واللين في الإرشاد، يدعو إلى الخير ويسارع إليه ، ويحذر من الشر ويتباعد عنه، ويعين على الحق ، وينصح للخلق ، مع تحري السنة، والاجتهاد في العبادة ، والاستقامة على مكارم الأخلاق ، داعيا بفعله، ومربيا وهاديا بسلوكه وسمته.

- فكان – بحق – إماما يقتدى به، وعلما يهتدي به من وراءه .

الخاتمة

- الحمد لله وبعد فقد تبين من خلال هذا البحث النتائج الآتية:

- – أن الاعتصام بالكتاب والسنة ، والتمسك بهما هو السبيل إلى الوصول إلى الحق ، والسلامة من التناقض والاختلاف ، وبه تحصل الحياة الطيبة في الدنيا والنجاة في الآخرة ، كما دلت على ذلك النصوص ، وقرره الراسخون في العلم واعتمدوه ، ومنهم الشيخ ابن باز– رحمه الله تعالى –.

- – لزوم تمحيص مرويات السنة ، وتمييز الصحيح منها من غيره ، لأن ما صح منها هو ما يجب اتباعه ، وتحرم مخالفته أو معارضته ، وأما الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة فلا حجة فيها.

- – أن الإعراض عن فهم الصحابة – رضي الله عنهم – للنصوص وتفسيرهم لها في مسائل الاعتقاد وغيرها من أعظم أسباب الزيغ والضلال ، كما جرى للفرق المنحرفة ؟ كالخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم ، ممن فسروا النصوص وفق فهمهم ، أو أولوها بحسب أهوائهم أو مقررات سابقة لديهم ، وأعرضوا عن فهم الصحابة وبيانهم ، فوقعوا في صنوف من البدع والضلالات .

- – صحة الاجتهاد، وموافقته – غالبا– للحق والصواب في حال الأخذ بالقواعد والأصول المعتبرة في الاستدلال والاستنباط ،

- كما تجلى هذا في فتاوى الشيخ ابن باز واختياراته واجتهاداته.

- – أن الشيخ ابن باز– رحمه الله – قام بتبليغ العلم وبيانه للناس وفق منهج خلقي متين تمثل في الصدق والإخلاص والنصح ، مع الوضوح في الخطاب والرفق فيه، وتعظيم الحق والتواضع

للخلق، والمسارعة إلى الخيرات ، فأسهم بهذا المنهج المتميز في غرس تعظيم الشريعة في القلوب ، و تيسير فهمها على عموم المسلمين، كما كان له أثر عظيم في نشر السنن ، ومحاربة مظاهر الشرك والبدع ومدافعتها في سائر بلاد المسلمين.